

2022

## The concept of Power in international relations A comparative Political study between the contemporary Western perspective and the Islamic perspective

Mahmoud Saleh B. Al Sheyyab

Hashemite University-Jordan, mahmoudalshyab98@gmail.com

Follow this and additional works at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jaaru\\_rhe](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jaaru_rhe)



Part of the [International Relations Commons](#)

---

### Recommended Citation

Al Sheyyab, Mahmoud Saleh B. (2022) "The concept of Power in international relations A comparative Political study between the contemporary Western perspective and the Islamic perspective," *Journal of the Association of Arab Universities for Research in Higher Education* (مجلة اتحاد الجامعات العربية (للبحوث في) التعليم العالي Vol. 42: Iss. 1, Article 3.

Available at: [https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jaaru\\_rhe/vol42/iss1/3](https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jaaru_rhe/vol42/iss1/3)

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Journal of the Association of Arab Universities for Research in Higher Education (مجلة اتحاد الجامعات العربية (للبحوث في) التعليم العالي by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## مفهوم القوة في العلاقات الدولية دراسة مقارنة بين المنظور السياسي الغربي المعاصر والمنظور الإسلامي

### The concept of Power in international relations A comparative Political study between the contemporary Western perspective and the Islamic perspective

**Mahmoud Saleh Bayer Al Sheyyab**

Hashemite University

Hashemite Kingdom of Jordan

[mahmoudalshyab98@gmail.com](mailto:mahmoudalshyab98@gmail.com)

**محمود صالح باير الشيباب**

الجامعة الهاشمية

المملكة الأردنية الهاشمية

[mahmoudalshyab98@gmail.com](mailto:mahmoudalshyab98@gmail.com)

#### Abstract

The study aimed at analyzing the theoretical frameworks for the use of "power" in international relations from both the contemporary Western and Islamic perspectives. The study reviewed the most important developments in the concept of "power" in the field of international relations from the contemporary Western perspective, and the most important elements of "power", its connotations, and dimensions in the Islamic perspective. By employing the descriptive, analytical, and comparative approaches, the study attempted to provide an analytical comparison of the similarities and differences between the two perspectives and how they use power. The study also showed how to reach an optimal form of the use of power in international relations by studying both perspectives.

**Keywords:** power theory, international relations, contemporary Western perspective, Islamic perspective.

#### المخلص

هدفت الدراسة إلى تحليل الأطر النظرية لاستخدام "القوة" في العلاقات الدولية لدى كل من المنظور الغربي المعاصر، والمنظور الإسلامي، واستعرضت الدراسة أهم التطورات التي لحقت بمفهوم "القوة" في حقل العلاقات الدولية، في المنظور الغربي المعاصر، وأهم عناصر "القوة"، ودلالاتها، وأبعادها في المنظور الإسلامي، ومن خلال توظيف المنهجين الوصفي التحليلي، والمقارن، حاولت الدراسة تقديم مقارنة تحليلية لأوجه التشابه والاختلاف بين المنظورين وكيفية استخدامها للقوة، وبيّنت الدراسة كيفية الوصول إلى شكل أمثل لاستخدام القوة في العلاقات الدولية عبر دراسة كلا المنظورين.

كلمات مفتاحية: القوة، العلاقات الدولية، المنظور الغربي المعاصر، المنظور الإسلامي.

## مقدمة

يعد مفهوم القوة من أهم المفاهيم المستخدمة في حقل العلاقات الدولية، وذلك باعتباره المحدد الرئيس لفهم سلوك الدول، لأن فوضوية النظام الدولي تضع الدول أمام المعضلة الأمنية، ولذلك، تتجه الدول إلى زيادة قوتها، إما بالزيادة النسبية في القوة للتفوق على خصومها، أو بالحفاظ على وضعها الراهن الذي يضمن لها التوازن في القوة مع غيرها من الدول، وذلك من خلال بناء تحالفات وتطوير آليات التعاون الدولي. وهكذا فالقوة وسيلة الدولة وغايتها لتحقيق الأمن والبقاء، فالدولة تتصرف بعقلانية لحماية مصالحها وأمنها القومي، وعلى ذلك، فإنها تولي أهمية قصوى للقوة باعتبارها الوسيلة التي تمكنها من تحقيق ذلك.

لقد تطور مفهوم القوة من خلال العديد من المدارس والنظريات التي عالجت هذا المفهوم. إذ تبلور مفهوم القوة الصلبة التي تركز على الأداة العسكرية والإكراه كمحور لها، وبعد ذلك، تمت إضافة محاور جديدة للقوة كالاقتصاد والثروة، والقوة الكامنة المتمثلة بالمساحة الجغرافية، والموارد البشرية، ومن ثم، تمت إضافة مفهوم آخر للقوة، وهو القوة الناعمة التي تعتمد الدول من خلالها على الدبلوماسية لتحقيق أهدافها، بعيداً عن التهديد والضغط والإكراه.

ونظراً لأهمية القوة ودلالاتها في تحديد طبيعة العلاقات الدولية، تأتي هذه الدراسة للبحث والمقارنة في مفهوم القوة بين كل من المنظور الغربي المعاصر والمنظور الإسلامي.

## مشكلة الدراسة

تتمحور مشكلة الدراسة حول دراسة الأطر النظرية لاستخدام "القوة" في العلاقات الدولية في كل من المنظور الغربي المعاصر، والمنظور الإسلامي، بغية الوصول إلى طرح فكري تكاملي ما بين المنظورين، يقدم منظومة علمية قابلة للتطبيق، وانطلاقاً من ذلك، ستجيب هذه الدراسة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما أهم التطورات التي لحقت بمفهوم "القوة" في حقل العلاقات الدولية، في المنظور الغربي المعاصر؟
- 2- ما أهم عناصر "القوة"، ودلالاتها، وأبعادها في المنظور الإسلامي؟
- 3- كيف يمكن الوصول إلى شكل أمثل لاستخدام القوة العلاقات الدولية عبر دراسة كلا المنظورين؟

## أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال تقديمها لطرح فكري يجمع ما بين المنظورين الغربي المعاصر، والإسلامي، بغية الوصول إلى وضع تكاملي أمثل لاستخدام القوة في العلاقات الدولية، خاصة في ظل تنامي استخدام القوة في العالم بهدف حماية السلم، والأمن الدوليين، أي بحماية النقيض بالنقيض، مما يضفي حساسية ومسؤولية أكبر على موضوع الدراسة.

كما وتأتي هذه الدراسة لإلقاء الضوء على فقه سياسي نشأ مع دولة الإسلام منذ بدايتها الأولى في المدينة تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشكل هذا الفقه السياسي المرجع الأول لحضارة امتدت زمانياً لمئات السنين، وجغرافياً في مختلف القارات، وأعطت الحضارة الإنسانية الكثير من أسباب ازدهارها، إلا أن التهميش والإنكار بالإضافة إلى عوامل أخرى، أوصلنا إلى حد أصبحنا نهمل أو نتجاهل معه هذا المرجع العلمي الثري، كما أدى هذا الجهل والتجاهل إلى التباس الخطأ بالصواب، وتكوين صور نمطية خاطئة أحياناً عن المنظور الإسلامي، أو عن الإسلام بشكل عام.

كما تستمد هذه الدراسة أهميتها من مبدأ المسؤولية الإنسانية العامة، والتي تتشاطر فيها الأمم والشعوب المختلفة أدوارها، من خلال طرح الأفكار، والرؤى الإيجابية التي يمكن أن تسهم في التقليل من العنف في هذا العالم.

## أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يأتي:

- 1- تسليط الضوء على أهم التطورات التي لحقت بمفهوم "القوة" في حقل العلاقات الدولية، في المنظور الغربي المعاصر.
- 2- بيان أهم عناصر "القوة"، ودلالاتها، وأبعادها في المنظور الإسلامي.
- 3- التحقق من كيفية الوصول إلى شكل أمثل لاستخدام القوة في العلاقات الدولية عبر دراسة كلا المنظورين الغربي المعاصر، والإسلامي.

## منهجية الدراسة

تحقيقاً لأهداف الدراسة، ووصولاً للإجابات العلمية عن تساؤلاتها، فإن هذه الدراسة تعتمد المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف وتحليل عناصر القوة ودلالاتها، بالإضافة إلى المنهج المقارن، لبيان أوجه الشبه والاختلاف بين كيفية استخدام القوة

السياسة، والعلاقات الدولية، في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث، والذي اصطلح الباحثون في العلاقات الدولية على تحديده زمنياً منذ مؤتمر وستفاليا (1648)، الذي عمل على تكريس الشكل الحديث لتنظيم المجتمعات السياسية (فرج، 2007)، أما عبارة "المنظور الإسلامي"؛ فإنها ستشير إلى الإطار الفكري المستند إلى الثقافة الإسلامية، والمتأثر بمجموع معتقداتها، وقيمتها، وتعاليمها الدينية، والأخلاقية، منذ بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن السادس الميلادي، وحتى وقتنا الحالي.

#### - القوة (Power) في المنظور الغربي المعاصر:

إن مفهوم "القوة" من المفاهيم المستخدمة على نطاق واسع في اللغة السياسية وفي العلاقات الدولية، وقد أدى هذا إلى جعله يكاد يكون خالياً من المعنى الحقيقي لكثرة استخدامه، وشبهه جوزيف ناي لذلك بأنه كالطقس، الجميع يتحدثون عنه، ولكن القليل يفهمونه (ناي، 1991).

ويأتي تعريف القوة في بعض القواميس على أنها القدرة على الفعل، أو إحداث الأثر، وتأتي أيضاً بمعنى السلطة، أو السيطرة على الآخرين، كما تفيد بعدد المعاني الأخرى التي تدور حول القدرة المادية، أو المعنوية، والسيطرة على الأشخاص أو الأشياء (Merriam-Webster, 2014).

ووفقاً لـ "مورجانتو" قد تنطوي القوة على أي شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان، ويضمن الحفاظ عليها، ويكون بذلك شاملاً لجميع العلاقات الاجتماعية التي تهدف إلى تلك الغاية ابتداء من العنف البدني، وانتهاء بأكثر الروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر، فـ "القوة" تشمل كل أشكال السيطرة من إنسان على إنسان آخر، وهي سيطرة الإنسان على عقول الآخرين وأفعالهم" (مورجانتو، 1964). وفي ضوء ذلك فقد عرفها لاحقاً "روبرت دال" (Robert Dahl) على أنها "القدرة على حمل الآخرين على فعل أشياء ما كانوا ليقوموا بها لولا ذلك" (دال، 1991).

أما في "الواقعية الجديدة" التي تزعمها "كينيث ولتز" (Kenneth Waltz)، وجاءت امتداداً لـ "الواقعية التقليدية"، فقد وسع "اللتز" مفهوم القوة، وحاول الربط بين قوة الدولة، وامتلاك عناصر مثل المساحة، والموقع الجغرافي، والموارد المادية والطبيعية، والسكان، ودرجة النمو الاقتصادي، والتطور العسكري، والاستقرار السياسي والكفاءة (مقبل، 2012).

وقد دار الجدل أيضاً في توصيف هذه الموارد، ودرجة أهميتها لامتلاك القوة (دويتش، 1982)، فبينما تم التأكيد على أن القوة

في العلاقات الدولية من المنظور الغربي المعاصر، والمنظور الإسلامي.

#### مفاهيم الدراسة

#### - "المنظور" (Perspective):

هو أحد الأدوات الذهنية التي تستعمل لدراسة العلاقات الدولية كحقل معرفي، من بين أدوات ذهنية أخرى مثل "المنهج" (Approach)، والنظرية (Theory)، والنموذج المعرفي (Paradigm)، وتحمل هذه المصطلحات دلالاتها العلمية الخاصة بها، والتي تميزها عن غيرها (فرج، 2007)، ويعرفه قاموس علم الاجتماع على أنه: "القيم والمعتقدات، والاتجاهات، والمعاني التي تتوفر في الإطار الفكري، أو في وجهة نظر الفرد إلى موقف معين، ويتكون المنظور من مجموعة دعاوي تؤثر فيما يدركه الشخص، وفي تفسيره لمدركاته" (غيث، 2000).

ويرى "كارل مانهايم" (Karl Mannheim) (1936) أن المنظور هو: "الطريقة التي ينظر بها شخص ما إلى موضوع معين، وما يدركه الشخص في هذا الموضوع، وكيفية تفسيره له، ومن هنا فالمنظور يفوق مجرد تحديد طريقة التفكير، بل هو عائد إلى العناصر النوعية التي تشكل البناء الفكري لدى الشخص، ومن ثم فهو مجموعة العوامل المسؤولة عن اختلاف شخصين في الحكم على موضوع واحد، رغم استخدامهما لذات القواعد المنطقية" (Mannhiem, 2013)، وعليه فقد عدّه "أنور محمد فرج" انعكاساً لتأثير قيم الباحث، وتصوراته على موضوع البحث، والمدخل الذي يختاره، والنظرية التي يتبناها، والمعالجة التي يتخذها للظاهرة، وعلى التفسير، والتقييم، وكل ذلك يعكس دور البعد التأملي، ودور الثقافة والهوية على الباحث (فرج، 2007).

وتعرف (مصطفى، 2011) المنظور بأنه: "هيكل الخطاب السائد من حيث النسق القيمي، والإدراكي الذي ينظم التفكير في حقل ما، فيضع نطاق هذا الحقل، وحدوده، ويحدد مفاهيمه، ورؤاه العالمية، ومعتقداته، وقيمه، ونظرياته" (مصطفى، 2011). ولغايات هذه الدراسة، يعرف الباحث المنظور إجمالاً بأنه "المنظومة المعرفية المتأثرة بمجموعة المعتقدات، والقيم، والعوامل الثقافية، والمعرفية، التي ترسخ في ذهن الفرد، وتشكل الإطار الفكري التي ينظم عملية تفسير الفرد لما حوله من ظواهر، أو يؤثر على مدى، وكيفية إدراكه لها".

وعليه فإن عبارة "المنظور الغربي المعاصر"؛ ستشير في هذه الدراسة إلى الإطار الفكري الذي ساد لدى الباحثين في مجال

1- السلاح والآلة الحربية { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } (الأنفال، 60).

2- الرجال والأيدي العاملة أو كما يسمى القوى العاملة { قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } (الكهف، 95).

3- البطش والمنعة { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } (محمد، 90).

4- القوة الجسدية { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } (الروم، 54).

5- الاستحكام والاتقان { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقْضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } (النحل، 92).

6- القدرة والكفاءة { إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص، 26).

7- العزيمة والجد والاجتهاد { خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة، 63).

8- البيان والحجة { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (مريم، 12).

9- المكانة والحظوة { ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } (التكوير، 20).

10- القوة الحاصلة من الأموال والأعداد البشرية والموارد الاقتصادية والزراعية { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ } (هود، 52).

أما في الحديث النبوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أفاد مفهوم القوة في عدة معاني، من أبرزها:

1- القوة الجسدية، وقوة الإرادة في حديث القوة : "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وما شاءَ فعل، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" (مسلم، 2664).

2- القوة المتمثلة في جهاد النفس، والقدرة على إمساكها عما تريد، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس الشَّدِيدُ بالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" (البخاري، 5763).

العسكرية هي التي ميزت العصور السابقة، فعوامل أخرى مثل التكنولوجيا، والتعليم، والنمو الاقتصادي، أصبحت أكثر أهمية، في حين أن عوامل مثل الجغرافيا، والسكان، والمواد الخام، قد أصبحت أقل أهمية (ناي، 1991).

ويرتبط مفهوم "القوة" مع بعض المفاهيم الأخرى مثل النفوذ والتحكم والسلطة، بل يذهب "دال" إلى تعريف النظام السياسي برمته على أنه نمط مستمر للعلاقات الإنسانية يتضمن التحكم والنفوذ والقوة، أو السلطة بدرجة عالية، جامعاً مصطلحات (التحكم والنفوذ والقوة) في مجموعة واحدة أطلق عليها مصطلحات النفوذ (دال، 1991). وبقارب "دويتش" في هذا ما بين المال والقوة، فإذا كان المال هو عملة الحياة الاقتصادية فإنه يمكن اعتبار القوة عملة السياسة (دويتش، 1982).

وفي عام 1990 أضاف "جوزيف ناي" بعداً جديداً، أو وجهاً آخر للقوة أطلق عليه "القوة الناعمة" (Power Soft)، وهو حمل الآخرين على أن يريدوا ما تريد عبر الجاذبية عوضاً عن ممارسات الإكراه، ويكون ذلك من خلال ممارسات تعتمد على الثقافة، والأيدولوجيا، ووسائل الإعلام، والمؤسسات التي تحكم نشاط المجتمع الدولي، وغيرها (ناي، 1991). ثم أضاف "ناي" (2011) تعريفاً جديداً للقوة – وهو التعريف الذي ستتناه هذه الدراسة – ، ويقوم على الجمع ما بين موارد القوة الصلبة والناعمة للوصول إلى حمل الغير على القيام بسلوك مطلوب، وهو ما أسماه "القوة الذكية" (Smart Power)، ولاحقاً أشار "ناي" إلى أن هذا النوع من القوة يقوم من خلال اتباع الاستراتيجيات المناسبة، وفق الزمان، والمكان المناسبين، لتحويل مصادر القوة إلى نتائج تظهر على سلوك الطرف الآخر (Nye, 2011).

#### مفهوم "القوة" في المنظور الإسلامي:

القوة في اللغة العربية هي نقيض الضعف والجمع قُوَى وقُوَى، ويكون ذلك في البدن والعقل. كما تأتي القوة بمعنى الجد والعون، وهي الطاقة التي تمكن الإنسان من أداء الأعمال الشاقة، وهي مبعث النشاط والحركة والنمو، وتنقسم إلى طبيعية، وحيوية، وعقلية (ابراهيم وآخرون، 1972).

وقد استخدم المشرع لفظ "القوة" في مواضع عديدة من القرآن والسنة، وتكررت لفظة "القوة" ومشتقاتها في القرآن الكريم 42 مرة، أطلقت فيها على القوى المادية، والقوى المعنوية، ومن المعاني التي حملها مفهوم القوة في السياق القرآني:

القوى" بعد مؤتمر فيينا قاعدة السلوك السياسي التي ينبغي على الدول التزامها بكل دقة، فما كان لدولة ما أن تجرؤ على التنكر لها، ولا تكاد معاهدة من معاهدات الصلح التي أبرمت في القرن التاسع عشر أن تخلو من الإشارة إلى ذلك المبدأ على أنه من بديهيات السياسة الدولية (عمر، 2000).

وبقيت فكرة "توازن القوى" هي الوسيلة الدولية لمنع الحروب، والمحافظة على استقرار العلاقات الدولية، إلى أن وقعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، والتي دفعت عدداً من المفكرين والسياسيين للتفكير بكيفية تغيير النظام الدولي لمنع تكرار ما حدث، وظهرت "المدرسة المثالية" التي شجبت النظرية التقليدية (توازن القوى)، واستمدت المنظور المثالي من الأديان السماوية، والتعاليم والفلسفات الإنسانية التي تهتم بوضع الضوابط والمعايير الأخلاقية العامة للسلوك الإنساني، وتركز على مخاطبة عقل الإنسان وقلبه، واستثارة الجوانب الخيرة في الطبيعة البشرية، بهدف الارتقاء بالسلوك الإنساني، والعمل على أن يأتي هذا السلوك متمشياً مع القواعد الأخلاقية التي تحض على قيم التعاون بدلا من الصراع، كما استمد أنصار هذا المنظور بناءهم الفكري من عدة روافد، تمثلت في أعمال عصر النهضة والتنوير، وليبرالية القرن التاسع عشر، ومثالية الرئيس الأمريكي "درو ولسون"، الذي أراد تحقيق سلام عادل، ومنح حق تقرير المصير للأمم (عبد الشافي، 2011).

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939 – 1944)، عادت القوة لتكون محور النظريات التي سادت العلاقات الدولية، وكان ظهور كتاب "السياسة بين الأمم: الصراع من أجل القوة والسلام"، لـ"هانز مورجنتاو" (Hans Morgenthau)، بمنزلة البداية الصلبة لتأسيس هذه النظريات التي هيمنت على دراسة العلاقات الدولية، وأثرت تأثيراً بالغاً في مؤسسات صنع قرارات السياسة الخارجية في الدول الغربية كافة من خلال "المدرسة الواقعية" (Waltz, 1998). وتمثلت نقطة البدء لدى أصحاب المدرسة الواقعية في مركزية القوة للدولة لاكتساب السلطة والمنافع في الصراع الدولي المستمر، وعدم إعطاء دور كبير للأخلاق، والقانون الدولي، والدبلوماسية، مؤكداً بشكل حازم على القوة العسكرية أداة لحفظ السلام (Haliday, 1994).

وبعد أتباع المدرسة الواقعية أنفسهم امتداداً للفكر التقليدي القديم، حيث يشيرون إلى سيطرة القوة والواقعية على الأعمال الفكرية في الحضارات القديمة من اليونان، والهند، وروما، والصين، وعلى سبيل المثال؛ فهم يشيرون إلى الواقعية في كتابات

وفي ضوء ما سبق؛ فإنه يتضح أن النصوص الشرعية استخدمت لفظ القوة للدلالة على معاني عديدة، والمتأمل في هذه المعاني يجد أنها تفضي - في رأي الباحث - إلى عناصر متعددة، أو موارد مختلفة للقوة، تشكل في مجموعها المفهوم العام الجامع للفظ القوة.

وبناءً على ذلك فإنه يمكن القول إن مفهوم القوة في المنظور الإسلامي يحمل الدلالة إلى عنصرين أساسيين للقوة، وهما العنصر المعنوي (الروحي أو العقائدي)، والعنصر المادي.

وعلى ذلك، فإنه يمكن اعتماد التعريف التالي للقوة في المنظور الإسلامي: الاستغلال الأمثل لما وهبه الله للناس، من موارد معنوية وعقائدية (كالعقيدة الدينية، والوازع الداخلي، والقيم الإنسانية)، وموارد مادية (كالقوة العسكرية، والاقتصادية، والقوى البشرية...)، وتوظيفها لبناء القدرة اللازمة لتمكين الذات (الفرد، الجماعة، الدولة) من ممارسة حقوقها وحرّياتها..

#### تقسيم الدراسة:

سيتم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور، بحيث يتناول المحور الأول مفهوم القوة في المنظور الغربي المعاصر، ويتناول المحور الثاني مفهوم القوة في المنظور الإسلامي، وأخيراً يقارن المحور الثالث بين المنظورين.

#### أولاً- مفهوم القوة في في المنظور الغربي المعاصر

ظهر الشكل الحديث لتنظيم المجتمعات السياسية في أوروبا الغربية والذي نشأت معه العلاقات الدولية بالمعنى الضيق للعبارة، أي إحلال "الدولة-الأمة" محل الكيانات الإقطاعية والإمبراطورية، بعد سلسلة من الحروب الأوروبية انتهت بتوقيع معاهدة وستفاليا (1648)، والتي كرست الوضع الدولي الجديد (بوقنطار والمعلمي، 1988)، وتمثلت نقطة التحول في تنظيم العلاقات الدولية على أسس واضحة المعالم في أوروبا والغرب، وقد ظهرت استخدامات القوة في العلاقات الدولية منذ ذلك الوقت، فتم إقرار فكرة "توازن القوى" بين الدول، باعتبارها وسيلة لصيانة السلام، وردع الدول التي تسعى إلى التوسع على حساب دول أخرى (العقابي، 1996).

وفي الفترة الزمنية الممتدة منذ مؤتمر "وستفاليا" وحتى الحرب العالمية الأولى ظلت فكرة "توازن القوى" هي أساس العلاقات بين الدول، وعندما حاول نابليون (1792-1814) أن يعصف بهذا المبدأ، تحالفت أوروبا التقليدية ضده عبر مؤتمر "فيينا" (1815)، الذي طرح نظاماً أوروبياً جديداً قائماً على النفوذ الجماعي للقوى الكبرى آنذاك (فرج، 2007)، وظل مبدأ "توازن

مجرد مثل يوتوبية، والاعتراف لكل أمة بمحصول قوتها فقط، لا بمحصولها القيمي، والديني، والفكري (عبد الشافي، 2011). طغى المنظور الواقعي على علم العلاقات الدولية في العالم، حتى وصفت الواقعية بأنها النظرية المسيطرة على دراسات العلاقات الدولية، وأصبحت أية دراسة ذات مغزى تنطلق من أرضية الواقعيين، وتستلهم مسلماتهم الأولى، ولا مانع من التجديد، وعلى ذلك، قدّم "كينيث ولتز" (Kenneth Waltz) مبدأ "الواقعية الجديدة"، أو "الواقعية البنيوية"، في كتابه "نظرية السياسة الدولية" (عبد الشافي، 2011)، وتتلخص نظرية "ولتز" بأن النظام الدولي الفوضوي يتشكل من مجموع القوى الكبرى، كل منها تسعى للحفاظ على وجودها، ولا تهتم سوى بمصالحها، غير أن الدول الضعيفة تسعى لإيجاد نوع من التوازن بدلا من الدخول في صراع مع الخصوم الأقوياء، وخالف "ولتز" "الواقعية الكلاسيكية" عندما رأى أن نظام القطبين في العالم يحافظ على الاستقرار الدولي (Waltz, 1998).

ومع ظهور الفاعلين الدوليين (المنظمات الدولية، الشركات متعددة الجنسيات) من غير الدول، وخصوصاً خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، ظهرت الحاجة إلى دراسات جديدة تعيد تعريف القوة ودلالاتها في العلاقات الدولية، وفي ذلك "روبرت كيوهين" و"جوزيف ناي" (Robert O. Keohane & Josef S. Nye)، في كتابهما "العلاقات المتخفية للحدود، والسياسة الدولية" (Transnational Relations and World Politics)، بأن العلاقات الدولية التقليدية لا زالت موجودة، لكنها تقتصر الآن بعلاقات متخفية للحدود، قد يكون فيها طرفاً واحداً على الأقل كياناً ليس له صفة الدولة.

وقد انطلقت الرؤية الواقعية الجديدة لـ "كيوهين" و"ناي" من إدراك التطور المتزايد في التقنيات الحديثة، وتطور وسائل الاتصال، والنمو الكبير في الاقتصاد الدولي، مما يزيد من ظاهرة الاعتماد المتبادل في المجتمع الدولي، بحيث أصبحت الدول في وضع لا يسمح لها بانتهاج سياسة العزلة، وهو ما تبلور خلال ثمانينات القرن العشرين، إذ أصبح يُنظر إلى أن مناخ العلاقات الدولية هو أقرب إلى حالة الاعتماد المتبادل منه إلى حالة الفوضى والحرب، وتمثلت مظاهر الاعتماد المتبادل في حينه، على الصعيد العسكري، متمثلاً في حالة الردع النووي المشترك، وعلى الصعيد الاقتصادي مع تواصل التطور التقني في وسائل الإنتاج والاتصال، الأمر الذي

"ثيوسيديديس" (Thucydides) في القرن الخامس قبل الميلاد في كتاب تاريخ الحرب البيلوبونيسية، التي دارت بين أثينا واسبارطة وانتهت بانكسار قوة أثينا (Elman, 2007).

وبعد "ميكافيلي" أول محلل سياسي حديث للقوة (فرج، 2007)، وهو من أشهر بالواقعية البعيدة عن أي التزام أخلاقي، وانطلاقاً من نظريته المتشائمة للنفس البشرية المطبوعة بالأناية، ونكران الجميل، يذهب "ميكافيلي" إلى أن السياسة يجب أن تتعامل مع الناس على أنهم أشرار، والدبلوماسية ليست سوى كلمة رقيقة تخفي خلفها شريعة الغاب في المجتمع الدولي (الدسوقي وغانم، 1973)، ويذهب بالدفع إلى أن السعي إلى السيادة الخارجية فيه صيانة الحرية في الداخل، لأنه ما لم تكن مستعداً للهجوم، فسوف تكون عرضة لأن يهاجمك العدو، والقوة العسكرية، والتهديد بها، هما ضمان الاستقرار الداخلي (فرج، 2007).

وبعد "ميكافيلي" جاء الفيلسوف البريطاني "توماس هوبز" (Thomas Hobbes) (1588-1679)، الذي أظهر الوجه الفلسفي للواقعية السياسية، إذ رأى "هوبز" أن القوانين الطبيعية (كالعدالة، والحلم، والتواضع، والرحمة) لوحدها بمعزل عن الخوف من قوة إكراه، تتضارب مع الغرائز الطبيعية للإنسان، والعقود بمعزل عن السيف؛ ليست سوى كلمات لا تكفي لحماية أي إنسان، وأن الفوضى (Anarchy) هي السمة المهيمنة على السياسة الدولية، ومن غير قوة مهيمنة، أو دولة عالمية، فإن الحرب ستكون من النتائج التي لا مفر منها (حداد، 2000)، وبناءً على ذلك يقرر "هوبز" أن حياة الفرد عبارة عن عملية متصلة من الصراع لأجل إشباع غرائزه، أما الطريقة التي يستعملها الإنسان في ذلك هي طريق القوة، والحياة الإنسانية ما هي في جملتها إلا صراعاً أديا للحصول على القوة تلو القوة، والتي لا تتوقف بدورها إلا عند الموت (الظاهر، 1987).

ورأى "مورجانتو" أن السياسة الدولية هي صراع في سبيل القوة، لأن القوة سبيل كل أمة من أجل البقاء والنمو، وتوازن القوى هو السبيل لإدامة السلم، وأنه لا سبيل إلى تطبيق القوانين والمثل الخلقية في ساحة العلاقات الدولية، وذلك عدا ما يتطابق من تلك القوانين والمثل مع مصالح الطرف الأقوى، لذلك فإن على قادة الدول أن يركزوا على الاعتبارات الأمنية التي تصون مستقبل بلدانهم، لا على مجرد المطالب، والقيم القانونية، والأخلاقية، كما يجب التمييز بين "الحقيقة" التي هي "القوة"، و"القيم" التي هي

سياسات الاقتصاد المفتوح، فإنه يجب دعم وتطوير المؤسسات الدولية التي تحمل في أهدافها قضايا تتعلق بالتجارة الدولية، وإدارة الموارد الطبيعية، والتعاون ضد الإرهاب، والسيطرة على التسليح، وتلوث البيئة، وإدارة مناطق جغرافية معينة، (كالبנק الدولي، وصندوق النقد الدولي، وهيئة الطاقة النووية الدولية) (ناي، 1991)، إلا أن "ناي" يؤكد على أن العمل من جانب واحد مطلوب أحياناً من منطلق ممارسة القيادة الأمريكية، ويجب أن يبنى هذا العمل على نحو لا يمنع الآخرين من الانضمام إليه، ويُعد استخدام القوة العسكرية عملاً خاصاً من أشكال العمل من جانب واحد، حيث أنه إذا تم استخدام، أو التهديد باستخدام القوة العسكرية بحكمة، فإنها تستطيع أن تلعب دوراً حاسماً في الحفاظ على النظام الدولي، على أن يكون هذا الاستخدام مقترناً بالشرعية، فإذا كان العمل العسكري له ما يبرره فسيكون من الممكن خفض الثمن من اللجوء إلى استخدام القوة (ناي، 1991). وفي تطور لاحق لمفهوم القوة يضيف "ناي" (2004)، بأن قوة السيف ستظل ضرورية للحفاظ على الأمن، ومقترنة باستخدام "القوة الناعمة"، واصفاً ذلك الجمع ما بين النوعين من القوة بـ "القوة الذكية" (Smart Power).

ثم عاد "ناي" في عام 2011 في كتابه "مستقبل القوة" (The Future of Power)، ليؤكد على أن القوة العسكرية تبقى أداة لا غنى عنها، إلا أنها في خضم التحولات التي لحقت بالنظام الدولي، وتطور العلاقات بين الدول وتشابكها، وظهور أنواع جديدة من الحروب، فإن القوة العسكرية لم تعد بالقدرة ذاتها على تحقيق الانتصارات كما كانت كذلك في القرنين السابقين، فأدوات القوة الناعمة مثل وسائل الإعلام، وشبكة الانترنت، والمنظمات الدولية، والمشروعات الدولية، و"القوة الذكية" التي تدور حول اتباع الاستراتيجيات المناسبة لتحويل مصادر القوة إلى قدرة على إحداث الأثر، أصبح لها الأهمية الأكبر في حسم المعارك في وقتنا الحاضر (Nye, 2011).

وفي ضوء هذه التطورات التي أصابت نظرية القوة، أصبحت أخلاقية القوة، أمراً ينظر إليه بدرجة أكبر في عالم أكثر اتصالاً وترابطاً، وأصبحت مبررات استخدام القوة، تشكل في حد ذاتها إضافة نوعية لهذه القوة، وهو ما حمل الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" (Barack Obama) أثناء تسلمه لجائزة نوبل للسلام في عام 2009 إلى القول: "ستكون هناك أوقات حينما تجد الدول- منفردة، أو مجتمعة-، أن استخدام القوة ليس فقط ضرورياً بل له ما يبرره أخلاقياً...، أعتقد أنه بالإمكان تبرير القوة على أسس إنسانية كما

سيقود إلى تشابك حقيقي في المصالح الدولية، وانفتاح كامل للأسواق القومية لتجارة الدول الأخرى وبضائعها، ويقلل بالتالي من دواعي التوتر واحتمالات اندلاع الحروب (عبد الشافي، 2011). وفي ضوء ذلك، ظلت القوة محوراً أساسياً في قلب العلاقات الدولية، واستخدمت "نظرية الاستقرار المهيمن" (Hegemonic Stability Theory)، لوصف وضعية الولايات المتحدة كقوة مهيمنة (Hegemonic Power) في النظام الدولي (فرج، 2007)، و"الهيمنة" تعني القدرة على التحكم بقواعد اللعب والترتيبات التي تسير بمقتضاها العلاقات الدولية سياسياً، واقتصادياً (ناي، 1991).

وفي نهاية الثمانينيات مع انتهاء حقبة الحرب الباردة، وسقوط المعسكر الشرقي، وصف "فرانسيس فوكوياما" (Francis Fukoyama) (1989) ما أصبح عليه النظام الدولي الجديد بـ "نهاية التاريخ"، قائلاً إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية، وأن الصراع التقليدي ما بين الدول قد ولى بموت الأيديولوجيات الماركسية واللينينية في الاتحاد السوفيتي، وأننا بصدد سيطرة للإقتصاد والسوق المشتركة في العالم، إلا أن الصراعات الإثنية، والعرقية، في دول العالم الثالث ستبقى فاعلة، ومظالم بعض شعوب العالم الثالث، وحروب التحرير، ستبقى على أجندة المجتمع الدولي (Fukoyama, 1989).

لقد بشر "فوكوياما" بنظام عالمي جديد، وهو ما تحث عنه لاحقاً الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش" في خطابه أمام الكونغرس في سبتمبر 1991 قائلاً: "إننا أمام نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحراً إزاء التهديد بالإرهاب، وأكثر مناعة في إقرار الدولة، وأكثر أمناً في السعي من أجل السلام" (ابوشبانه، 1998). وفي ظل هذه التغيرات في نظرية العلاقات الدولية، تطور مفهوم القوة وقدم "جوزيف ناي" (1991) وصفاً لوجه آخر من "القوة"، وهو ما أطلق عليه مفهوم "القوة الناعمة" (Soft Power)، فالقوتان العسكرية، والاقتصادية، هما مثالان على "القوة الصلبة" (Hard Power)، ويمكن استخدامهما للإقناع (الجزرة) وللتهديد (العصا)، ولكن هناك وجه آخر للقوة تستطيع الدولة من خلاله أن تنال ما تريد عبر الجاذبية في قيمها وأيديولوجيتها، بحيث تجعل الآخر يريد ما تريد، وهو ما اصطلح ناي على تسميته بـ "القوة الناعمة" (ناي، 1991).

ويشير "ناي" إلى أنه وفي ظل استحالة اتباع استراتيجية كونية أحادية الجانب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على

زهرة، 1995)، فأعطى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للنصارى من سكان القدس الأمان "لأموالهم، وأنفسهم، وكنائسهم، وصلبانهم، لا يُضَارُّ أحدٌ منهم ولا يرغم بسبب دينه" (الصلابي، 2002)، وما بقاء أهم وأقدم كنائس العالم (مثل كنيسة القيامة، والمهد، وغيرها...) في قلب العالم الإسلامي، واستمرار الحياة الدينية، وممارسة الشعائر، فيها دون توقف عبر التاريخ، وبقاء أتباع الديانات الأخرى في البلاد المسلمة، وممارستهم لحياتهم، وطقوسهم، وتعاملاتهم بحرية تامة إلى يومنا هذا، إلا دليل على توافر مساحات من الحرية، لم تكن لتتوافر في الحضارات القديمة عند غير المسلمين.

وتظهر أهمية اعتناق مبدأ "الوحدة الإنسانية"، وما يترتب على ذلك من حرية ومساواة، من خلال ترسيخ ثقافة صنع السلام في الفكر الإسلامي، ومنع الظلم، والفساد، مما سيؤدي إلى وأد الكثير من الصراعات والأعمال الإرهابية حتى من قبل أن تبدأ، وسيعزز من حالة السلم على حساب العنف في العالم أجمع، ومن منطلق هذا المبدأ ستتحدد طبيعة العلاقة بين الناس في الأرض كما دعا إليها الإسلام، ألا وهي السلم.

#### المبدأ الثاني: السلام أساس العلاقات بين الدول:

إن الإخوة الإنسانية لا تستوي بدون تقرير السلام كأساس لتطبيقها، وعليه فقد انسجم هذا المبدأ مع ما دعا إليه الإسلام من تأصيل للعلاقات بين الناس (أفراد، وجماعات، ودول) يقوم على السلم، وقد نظر الإسلام إلى الحرب على أنها اتباع لخطوات الشيطان، وصرح الله تعالى أن من يلقي السلام لا بد من الامتناع عن قتاله (أبو زهرة، 1995). وقد ورد في القرآن حول ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة، 208) وكذلك النص القرآني: {فَإِنْ عَاثَرْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} (النساء، 90). ويظهر عدم استحباب القتال في قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا" (البخاري، 2863).

والسلام الذي جاء به الإسلام هو سلام مع النفس البشرية، أي سلام مع الذات، و سلام مع الآخر، فرداً كان أو جماعة، ف"السلام الشخصي" هو الأمن، والطمأنينة، والسعادة، و"السلام المجتمعي" هو في الاستقرار بعيداً عن أعمال العنف،

كان الحال في البلقان، أو في أماكن أخرى، فعدم العمل يمكن أن يؤدي إلى تدخل أكثر تكلفة فيما بعد، لهذا السبب يجب على كل الدول المسؤولة أن تتبنى الدور العسكري الذي تستطيع أن تلعبه في حفظ السلام، بتفويض واضح، وحيث تكون القوة ضرورية فإنه لدينا مصلحة استراتيجية، وأخلاقية، في إلزام أنفسنا بقواعد سلوك معينة".

وعليه، فإن مفهوم "القوة" أصبح يقدم أبعاداً تحمل دلالات أخلاقية، تجعل من القوة أداة أكثر قبولاً في هذا العالم، يمكن لها أن تقدم الحلول لوقف العنف والصراع، كأداة يمكن اللجوء إليها تحت مظلة المشروعية الدولية، وبدواعٍ إنسانية، ضمن شروط وقواعد أخلاقية وتشريعية.

#### ثانياً- المبادئ التي قام عليها مفهوم القوة في المنظور الإسلامي

ينضبط الفكر الإسلامي في مجال إدارة العلاقات الدولية

بعدد من المبادئ، وهي:

#### المبدأ الأول: الوحدة الإنسانية وما يقتضي ذلك من تحقيق مبادئ الحرية والمساواة:

ويقصد بهذا المبدأ أن أصل الناس جميعاً على هذه الأرض واحد من آدم وحواء، وأن الناس على اختلاف أجناسهم هم سواسية أمام القوانين العادلة من ناحية دنيوية في هذا العالم، وأما من ناحية تفضيل قوم عند الله بسبب دينهم، أو أعمالهم، فذلك شأن إلهي لا يشرك الله به بشراً، وهو يفصل ما بين الناس وفقاً لذلك، وقد كان الإسلام واضحاً في هذا المبدأ منذ انطلاسته الأولى، وجاء القرآن مؤكداً عليه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات، 13)، وقد علم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه هذا المبدأ الإنساني قائلاً: "يا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ واحدٌ، وَإِنَّ آبَاكُمْ واحدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمٍ، وَلَا لِعَجَمٍ عَلَى عَرَبٍ، وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (البهقي، 4/1820) (الألباني، صحيح الترغيب، 2963).

وانطلاقاً من ذلك فقد ضمن الإسلام حرية الرأي، وحرية العقيدة، وحرية الإقامة، لمن يستظلون برايته، وضمن حرية تقرير المصير لمن يخالفونه، أمر القرآن بمنح هذه الحريات: {لا إكراه في الدين} (البقرة، 256)، ومارسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والتزم بها من خلفه في ولاية أمر المسلمين (أبو

الطرفين، كذلك توقيعه صلى الله عليه وسلم لصالح الحديبية مع قريش بهدف حقن الدماء (ابن هشام، 2009).

#### المبدأ الخامس: التعاون الإنساني، والمسؤولية الجماعية:

لم يخصص المنظور الإسلامي حقلاً أو مجالاً بعينه ليقوم التعاون حوله، بل ترك مبدأ التعاون عاماً محبباً للأخذ به لجلب المنافع، والقيد الوحيد الذي وضعه الإسلام على مبدأ التعاون هو حصره في مجالات الخير والبر، ومنعه في مجالات العدوان، والبيغ، وإلحاق الضرر بالآخرين، فقد قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة، 2).

ويعد فعل البر، ومساعدة الإنسان لأخيه الإنسان، من أهم مظاهر التعاون التي دعا إليها الإسلام، وهو عمل ثابت يقدم للمسلم ولغير المسلم على المستويين الأهلي أو الدولي، لا يمنع ذلك اختلاف في الدين أو المعتقد، يقول تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة، 8).

وانطلاقاً من عالمية الرسالة الإسلامية، لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء، 107)، فإن المنظومة الإسلامية للعلاقات الدولية القائمة على القيم والمبادئ الخيرية، تفيد بشمول الآخرين بخيريتها ورحمتها.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية "المسؤولية الجماعية" لضمان تحقيق المصلحة العامة، واستقرار المجتمعات، في حديثه حول خرق السفينة عندما قال: "مثلُ القائم على حدودِ الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (البخاري، 2361).

#### المبدأ السادس: العقلانية:

حث الإسلام على إعمال العقل في جميع أمور الحياة، كما حث على التساؤل والتدبر في ما يحيطنا من ظواهر والتعلم فيها، ومنها، ولم يرى الإسلام في التفكير والتساؤل كفراً، بل رأى في ذلك أمراً نافعاً، يزيد من إيمان الناس بقدرة الله المعجزة بعد التعرف عليها والتعمق فيها، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} (الحج، 46)، وكذلك قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت، 53)، ولقد احترم الإسلام والمسلمون العلماء،

والاضطرابات، والمنازعات بين الجماعات المختلفة التي يتكون منها المجتمع، و"السلام العالمي" هو التعاون والتآخي بين بني البشر.

#### المبدأ الثالث: العدل:

لقد رسخ الإسلام مبدأ العدل، وجعله قيمة اجتماعية، وسياسية عليا، فأنزل الله تعالى: {وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} (النساء: 58)، والعدل من القيم الإنسانية الأساسية التي أكد عليها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية، والأسرية، والاجتماعية، والسياسية، وهو أمر واجب في كل الظروف والأحوال، وحتى لو كان في صالح العدو، أو كان في غير صالح المسلم، تبعاً للأمر الإلهي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة، 8).

ويُعَد غياب العدالة مصدراً أساسياً للصراعات والعنف، والعدل يبقى جوهر السلم على المستويات كافة، سواءً الأهلي، أو الدولي، أو بين الأفراد في ذات المجتمع (الخزندار، 2010)، وقد ارتبط مبدأ العدل في الإسلام بمبدأ آخر لا يقل عنه تأثيراً في صنع السلام، ألا وهو الوفاء بالعهود والمواثيق التي تنظم هذا العدل، وتضعه في أطر تشريعية قابلة للممارسة.

#### المبدأ الرابع: الوفاء بالعهود والمواثيق:

انطلاقاً من حالة السلم التي دعا إليها الإسلام لتعم العلاقات بين الناس على أسس عادلة ومقبولة، فقد حث الإسلام على كتابة العهود والمواثيق والالتزام بها، لما في ذلك من حفظ للحقوق، وأداء للواجبات، في مختلف المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، فقد أمر تعالى بكتابة الدين وتوثيقه فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} (البقرة: 282)، وبين القرآن أن في الوفاء مصدراً من مصادر القوة، والنكت فيه أخذاً بأسباب الضعف، ولا يصح أن يكون الباعث على الغدر بين الدول هو الرغبة في أن تكون أمة أقوى من أمة (أبو زهرة، 1995). يقول تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزَلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا يَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْزَىٰ مِنْ أُمَّةٍ} (النحل: 92).

إن المعاهدات بين الدول من أهم مصادر القانون الدولي، وقد مارسها المسلمون اقتداءً بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من ممارسة سياسية، تمثلت في عقد أول معاهدة في الإسلام لتنظيم الحقوق والواجبات بين المسلمين واليهود في دولة المدينة، ولتنظيم حالة العيش المشترك القائم على علاقة السلم بين

الدولة وقوتها، أمر من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه، ويرى الإمام ابن تيمية أن السلطة والإمارة من أعظم واجبات الدين التي لا تتم إلا بالقوة لنصرة المظلوم وإقامة الشرع، أي أن القوة هي من خصائص قيام الدولة وسيادتها في المنظور الإسلامي، وتتخذها الدولة لحماية كيائها داخلياً وخارجياً، وتنفيذ فرائضها، التي أوكّلها الشرع إليها تحقيقاً للمصالح (الدريني، 2013).

ومن هنا فقد اهتم الإسلام ببناء القوة بأنواعها، ولعبت القوة دوراً لا نقول عنه أساسياً، بل تأسيسياً للدولة في الإسلام، ونقول هنا تأسيسياً ذلك أن الإسلام دعا إلى بناء القوة في المراحل الأولى التي تبني عليها الدولة لتمكينها من تحقيق مصالح الأفراد والمجتمع. وبالرجوع إلى الآيات القرآنية التي ورد بها لفظ القوة، نجد أن معظمها جاء في بدايات الدعوة الإسلامية في الفترات المكية، أي في فترات الإعداد لتشكيل الدولة المستقبلية في المدينة، فقد وردت كلمة القوة بصيغها المتعددة في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة، جاءت هذه الصيغ اثنتين وثلاثين مرة في المكي، وعشر مرات في المدني، بمعنى أن عدد الآيات المكية يربو على ثلاثة أضعاف الآيات المدنية، مما يدل على أن حاجة المسلمين إلى القوة في هذا العهد كانت حاجة ملحة، وذلك لتهيئة وإعداد المسلمين لما هو قادم، ولتقوية عزائمهم في وجه الضغوط التي كانت تواجهها الدعوة (عاصي، 2009).

وينطلق مبدأ الحث على امتلاك القوة للأفراد والدولة في الإسلام، من منطلق الرؤية المتوازنة التي يقدمها المنظور الإسلامي حول طبيعة الإنسان والنفس البشرية، التي إن لم يتم تهذيبها، والسيطرة على شهواتها، وإخضاعها إلى القانون الأخلاقي، فإنها قد تنساق وراء شهواتها، وتبعاً لذلك فإن الإنسان قد يعتدي على حقوق غيره بغية الحصول على منافع غير مباحة، وهذا شيء من الطبيعة البشرية سيكون من باب السذاجة عدم وضعه بالحسبان في تعاملات البشر، سواء الفردية في المجتمع الواحد، أو على مستوى الدول، وهو ما أثبتته التاريخ، والحاضر، وما سيثبته المستقبل، وهو من البدهة بمكان، وإلا لما وضعت القوانين على مختلف أنواعها ومستوياتها، ولما وضعت المعاهدات والمواثيق، ولما وضعت العقوبات في حال الخروج عنها.

وفي ضوء ما سبق، فقد تقرر أن مفهوم القوة في المنظور الإسلامي يقوم كعامل ردع وحماية للقوانين العادلة التي تكفل استقرار نظام الحياة، فلا يمكن تصور نظام حياة مستقر بلا

وأنزلوهم منازل رفيعة لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء" (أبو داود، 3641) (الألباني، صحيح أبي داود، 3641).

وبشكل عام فقد اتصف المنهج الإسلامي بالعقلانية المشكلة من عناصر العلم والحوار (الخرندار، 2009)، فسوء الإدراك، وسرعة اتخاذ القرارات الغاضبة، هي من أهم أسباب العنف والصراع التي دعا الإسلام إلى تفاديها، ولذلك جاء في القرآن {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} (الحجرات، 6). باسترجاع ما بيننا سابقاً من مبادئ عامة للعلاقات الإنسانية في المنظور الإسلامي، وخاصة تجاه السلام والصراع، فيبدو في الإطار العام أن الإسلام قد نحا منحى مثالياً من حيث أصل العلاقات القائم على السلام والعدل، ومنع الظلم والعدوان، والوفاء بالعهود والعقود المبرمة، ووجوب سيادة الأخلاق بشكل عام في المعاملات. إلا أنه وعلى الرغم من هذا الطابع المثالي، فقد هباً المنظور الإسلامي لهذا الطابع ما يلزمه من اعتبارات واقعية، من شأنها أن تحمي المبادئ والتشريعات من أن تكون مجرد مثاليات غير قابلة للتطبيق، وبذلك، نجد أن المنظور الإسلامي يقدم طراحاً عقلانياً متوازناً بين المنظورين، يقوم على فهم الأشياء كما هي كائنة، بغية الوصول بها إلى ما يجب أن تكون، أي أن تخدم الحقائق الواقعة بناء النموذج المثالي المنشود من التشريع.

ولقد أطلق بعض المفكرين المسلمين على هذا المنهج الفكري اسم "الواقعية المثالية" أو "المثالية الواقعية"، أي أن يتم التعامل مع الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه، مع إدراك مطالبه وضروراته، وإدراك ضعفه، فلا يفرض عليه من التكاليف ما يعجز عن أدائه، كما أنه لا يترك لضعفه دون تقويم، فالإنسان لديه ميزة الاستعداد للوصول إلى "المثال" الذي قد يبلغه أحياناً، وقد لا يبلغه أبداً، ولكن لا بد له من استمرار المحاولة للوصول إلى مثالية لا تغفل واقع الحياة (قطب، 1993).

ولا ريب أن المنظور السياسي الإسلامي بما يتصف به من "مثالية واقعية" تقوم على تحقيق المصالح، ونفي الحرج، تبدو واقعيته من خلال صلته الوثيقة بوجود السلطة السياسية التي تتمتع بصفة القوة، إذ لا يمكن لهذه السلطة السياسية أن تتحرك على مقتضى مبادئ العدل أو مفهوم المصلحة، إذا كانت هذه غير قابلة للعمل والتطبيق، لذلك يرى الإمام الغزالي أن إقامة سلطات

وممارسة المسلمين لـ"إصلاح ذات البين" (تسوية الصراع)، والعمل والقوة الاقتصادية، والموارد الطبيعية والقوى البشرية التي تمتعت بها الدولة الإسلامية في حينه، والقوة العسكرية وضوابط الجهاد التي منها الالتزام بعدم القتال بدون الإعلان عنه، وبدون عرض العهد، ومنع قتال رجال الدين أو التدخل في حرياتهم، ومنع قتل الشيوخ والأطفال والنساء، وغير المحاربين من المدنيين الذين لا يحملون السلاح، ومنع الغدر، والنهب، والتمثيل بالجثث، ومنع الإضرار بالبيئة والتخريب، والحرق، وقطع الأشجار، وغير ذلك من ضوابط (Besiouni, 2008).

ومن هنا، يتبين أن المنظور الإسلامي قد قدم طرحه حول استخدام القوة لتسوية الصراع عبر منظومة من التشريعات، والوسائل، والتي تتراوح من استخدام الوسائل السلمية، إلى استخدام القوة المسلحة، على أن استخدام القوة المسلحة لتسوية الصراع من منظور إسلامي - وفقاً للمبادئ العامة، ومقاصد التشريع، والقواعد الفقهية في الإسلام - يستدعي الموازنة ما بين مقدار الضرر الناجم عن عملية التسوية، ومقدار الضرر الحاصل من استمرار الصراع، والأخذ بأدناهما، مع ضرورة مراعاة الوفاء بالمواثيق والعهود الدولية المبرمة لتنظيم هذا الأمر.

#### ثالثاً- المقارنة بين المنظورين

إن الطرح الغربي "الواقعي" لمفهوم القوة، والذي استمد جذوره من أفكار "ميكافيلي"، وفلسفة "هوبز"، وتجلي في أفكار "مورجانثو"، و"التز"، ومن تبعهم من أنصار "المدرسة الواقعية"، وما تفرع عنها من مدارس فكرية في حقل العلاقات الدولية، قد ابتعد في ماديته كثيراً عن نظيره في المنهج الفكري للمنظور الإسلامي، فعلى سبيل المثال، تبدو الفروق واضحة من خلال فكر "ميكافيلي" الذي قام على واقع اللاأخلاقية السياسية، فالغرض الأساسي من السياسة برأيه هو المحافظة على القوة السياسية نفسها، وزيادتها، دون الأخذ بعين الاعتبار إن كانت تلك السياسة قاسية، أو غادرة، أو غير جائزة شرعاً، وبالنسبة له فإن القوانين الأخلاقية ما هي إلا خيالات مدمرة (فرج، 2007)، بينما يقوم الطرح الإسلامي على المثل الأخلاقية العليا، وإصلاح الحياة على وجه الأرض (الدريبي، 2013).

وبالعودة إلى مفهوم القوة، فنجد أن هذا المفهوم قد شكل غاية في الفكر الواقعي الغربي، وقد قرر "هوبز" بناءً على ذلك بأن الحياة الإنسانية ما هي في جملتها إلا صراعاً أبدياً للحصول على القوة تلو القوة، والتي لا تتوقف بدورها إلا عند الموت (الظاهر، 1987). بينما نجد أن المنظور الإسلامي قد حصر القوة

قوانين تنظمه، ولا يجوز يوماً أن توضع القوانين بلا روادع تتوافر فيها القوة القادرة على انفاذ هذه القوانين، وقد جاء الأمر القرآني حاسماً في السعي لامتلاك القوة على سبيل الردع والحماية: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال، 60)، وباستعراض الآية الكريمة، فإن الإعداد للقوة يهدف في المقام الأول إلى ردع وتخويف الأعداء، أي حتى بدون اللجوء إلى استخدام القوة فعلياً عندما لا تقوم الحاجة إلى ذلك، ويكتمل المعنى من دلالة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا" (البخاري، 2863).

ومن هنا، فقد قدم المنظور الإسلامي مفهوم القوة بمعنى الوسيلة التي تقود إلى الغاية الأسعى، وهي تحقيق الصالح العام للبشرية، وفق أولوية العدل الذي اعتبره الفكر الإسلامي منبع القوة الحقيقي، ومن هنا أورد علماء المسلمين المقولة "أن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة" (ابن تيمية، 1987)، ونجد من ذلك أن المنظور الإسلامي قد قدم مفاهيمه الخاصة في القوة، وحث المسلمين على السعي لامتلاك القوة وفقاً لها، وعندما وصل إليها المسلمون فكراً، وممارسة، امتدت دولة الإسلام في قارات العالم بسرعة مذهلة، مما يؤكد أن مفهوم القوة في الفكر الإسلامي كان أعمق من مجرد حشد القوى المادية، وجمع الرجال والأموال، ويكمن في عناصر القوة التي اهتمت بها التعاليم الإسلامية، وعملت على بنائها لدى الدولة والأفراد، وهذه العناصر هي:

#### أولاً: العنصر الروحي والعائدي:

وهو مستمد من الاعتقاد الجازم للفرد بما تحمله الجماعة من قيم، ومبادئ، وينطلق هذا الاعتقاد لدى المسلمين من الإيمان بوحداية الله، وصفاته، وقدرته المطلقة، فهو صاحب القوة وأصلها، يهب منها قدر ما يشاء لمن يشاء، وأسبابه مختلفة في ذلك، ولا يستطيع أي مخلوق فعل شيء أمام قوته المطلقة.

#### ثانياً: القوى المادية:

وهي ما يشار إليها بالقوة "الصلبة"، (Hard Power)، وتدل على جميع موارد، وعناصر القوة الملموسة، كالموارد الاقتصادية، والموارد العسكرية، والموارد البشرية بالكم، والنوع، ويأتي هذا الوجه للقوة في المنظور الإسلامي من المبدأ العام للعمل في الإسلام، وهو الأخذ بالأسباب، ومن أهم مصادر القوة المادية في المنظور الإسلامي: العلم الذي كان له الأثر الكبير على فهم

فمن المعلوم أن المفكرين المسلمين الأوائل أقبلوا على ترجمة علوم وآداب الحضارات الأخرى، فأخذوا منها، وعدلوا فيها، وزادوا عليها، ولم يمنعهم عن ذلك الخلاف العقائدي ما دامت الأفكار لم تتجاوز الضوابط الشرعية التي اعتنقوها.

هذا ومن ناحية أخرى، فإنه من المعروف أن جميع الأطر النظرية المنطلقة من خلفيات دينية تقع في دائرة المثالية الفكرية (حسين، 2006)، لذلك نجد أن المنهج الفكري الغربي المعاصر الذي تستند إليه "المدرسة المثالية" الغربية، والتي كان من أبرز أنصارها الرئيس الأمريكي السابق "وودرو ويلسون"، قد اقترب بشكل أكبر - مع عدم الوصول إلى مستوى التطابق - مع المنظور الإسلامي، وقد يكون ذلك لأن المثالية الغربية أصلاً قد استمدت بعض جذورها من الأخلاقيات الدينية، التي افترضت قدرة الإنسان على التعاون مع غيره من البشر لبناء نظام يجنب العالم أسباب الصراع (عبد الشافي، 2011)، إلا أن الفكر الإسلامي امتاز بخصيصتي "الواقعية" و"الوسطية": اللتين ميزتا منظومته القيمية، والأخلاقية، فالواقعية هي ما يقوم على إدراك طبيعة الإنسان وفطرته، والوسطية هي ما يوازن بين المثالية والواقعية، بين الشجاعة والتهور، بين الكرم والبخل، لذا فإننا نجد أن الفكر الإسلامي قد وازن بين ثنائيات منها: العقل والقلب، المادة والروح، والدنيا والآخرة، ومصالح الفرد ومصالح المجموع، كل ذلك في وسطية متوازنة (جبار، 2006).

وقياساً على ذلك فإننا نجد أن الفكر الإسلامي في موضوع القوة قد وضع منظومته التشريعية التي تتسم بخصائص العقلانية، والواقعية، والاعتدال ما بين المثالية والواقعية، ونجد ذلك من خلال التدرج في آليات استخدام القوة بدءاً من الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، إلى الوساطة، ثم المفاوضات والقضاء والتحكيم، وانتهاءً باستخدام القوة، على أن يبني جميع ما سبق على أولوية العدل وتحقيق الصالح العام، ولو لم تكن هذه المنظومة شاملة ومتدرجة بهذه الطريقة من المثالية إلى الواقعية ضمن دائرة العدالة، لكان هناك حتماً نقص يشوب هذا التشريع، ومن هنا؛ فإن التسوية في النهج الفكري الإسلامي تقوم أساساً من كونها واجباً دينياً يستمد شرعيته من الأوامر الإلهية، ويتفق مع العقل والمنطق لتحقيق غاية الصالح العام وفق أولوية العدالة، وفي هذا التقاء العقل والقلب.

بمعنى الوسيلة التي تقود إلى الغاية الأسى، وهي تحقيق الصالح العام للبشرية، وفق أولوية العدل الذي اعتبره الفكر الإسلامي منبع القوة الحقيقية للدولة.

كما أن النهج الفكري الإسلامي يستمد المعرفة عبر مجالين واسعين، هما عالم الغيب وعالم الشهادة، بخلاف الفكر الغربي الذي يقتصر على الجانب المادي من عالم الشهادة، وبهذا فإن النهج الإسلامي هو نهج ملتزم بتعاليم روحية، ولا يتحرز من الضوابط الشرعية والأخلاقية (ميلود، 2010)، على أن هذه الفلسفة لا تعني مجرد التأمل العقلي المحض الذي يحوم في سبحات الخيال، بل هو اجتهاد في الرأي ضمن مقررات الوحي، وبما يكفل المواءمة بين مقررات الشرع وغاياته، وبين الواقع الذي نحيا في ظل ظروفه، وملابساته، فالعقل والشرع معاً، هما قوام الاجتهاد التشريعي والسياسي (الديني، 2013)، وعلى هذا فإن الفكر الإسلامي لا يدعي العصمة، ولا يؤهم بأن الوحي جزء منه، بل هو فكر ينصب على بذل الجهد، واستفراغ الطاقة العقلية والنفسية، قد يطابق الصواب نتيجة التزامه بالقواعد المنهجية، وإتصافه بالنزاهة والموضوعية، وقد يحتمل الخطأ، ولذا فقد أثر عن المفكرين في الإسلام قولهم: "قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب" (ميلود، 2010).

ولو نظرنا إلى مفهوم القوة من خلال هذا النهج الفكري، فإن ذلك سيحمل مفهوم "القوة" أبعاداً تجعله أكثر شمولية في جوانبه الروحية، والمعنوية، مع الإبقاء على العقلانية والموضوعية في صياغة التشريعات التي تنظم عملية الممارسة، مما سيعطي هذا المفهوم أهمية سياسية، تحتفظ بالأبعاد الأخلاقية لتوظيفه كوسيلة (وليس غاية) في السياسات الداخلية، والخارجية، وهذه الأبعاد الأخلاقية هي ما يجعل هذه القوة أكثر تأثيراً.

وعليه، فإننا نجد أن ما جاءت به "المدرسة المثالية" الحديثة حول قدرة القيم على خلق وجه ناعم للقوة، يقترب من المحتوى المعنوي أو الروحي لقوة القيم والأخلاق الجاذبة في المنظور الإسلامي، مع بقاء بعض الفروقات في الجوهر، والغاية، والتي ستأتي هذه الدراسة على توضيحها لاحقاً، كما وتبقى المفارقة العقائدية والأيدولوجية هي ما يميز هذا المفهوم في الفكر الإسلامي، عن نظيره عند مفكري السياسة والعلاقات الدولية في الغرب، على أن هذه المفارقة لا تعني امتناع الفكر الإسلامي عن التدبر في علوم وآداب الأمم والحضارات الأخرى، والاستفادة منها،

وبعد البحث في طرح كلا المنظورين لـ "مفهوم القوة"، فإن هذه الدراسة تجد الملاحظات التالية:

أولاً: قامت فلسفة القوة في العلاقات الدولية في الفكر الغربي المعاصر على أساس القدرة على التأثير في الآخرين بما يتوافق وإرادة القوي، وبرغم اختلاف النقاشات الفكرية التي دارت حول مفهوم القوة في العلاقات الدولية، إلا أن القوة على اختلاف تفاسيرها، ظلت تقاس غالباً في المنظور الغربي المعاصر بمدى القدرة على الكسب، وظلت تعاريفها تدور حول القدرة على التأثير في الآخرين، والهيمنة، والأنانية التي تعنى بالاهتمام بالمكاسب، والمنافع الذاتية، وفي حال تضارب المنافع الذاتية مع منافع الآخرين، فإن القوة التي تهدف إلى التأثير بالغير ستقول كلمتها لصالح الأكثر قدرة على التأثير، وحتى فيما يسعى بالقوة الناعمة الناشئة عن ممارسات الجاذبية بعيداً عن الوسائل المادية القاسية، والتي جاءت بها "الليبرالية" الحديثة، فإننا إذا ما تمعنا بأهدافها فسنرى أنها ظلت تدور حول الكسب والتأثير لصالح الطرف الأقوى، فلا فرق في النتائج-على الرغم من اختلاف الوسيلة- بين ما جاء به "ناي" حول القوة الناعمة، وبين القوة بمفهومها العام والتي عرفها روبرت دال بـ "القدرة على حمل الآخرين على القيام بأعمال ما كانوا ليقوموا بها لولا ذلك" (دال، 1991)، بينما في المنظور الإسلامي، دارت القوة حول القدرة على التأثير في الذات (جهاد النفس) أولاً، وثم في الآخرين، بهدف حماية القوانين القويمية، وحماية الحريات العامة من الشهوات الإنسانية التي قد تحيد بالإنسان عن طريق الصواب، لغايات تقويم الانحراف، والدفاع عن المستضعفين، والإصلاح، وال عمران، مستمدة من ما وهبه الله للفرد، أو المجتمع، أو الدولة، من مصادر يتم توظيفها بهدف تمكين الأفراد والجماعات من ممارسة حقوقهم المشروعة، بعيداً عن أي تأثير أو إكراه يتم ممارسته عليهم لحرمانهم من هذه الحقوق، وإن أي تجاوز لهذه القوة خارج حدود القوانين والمبادئ التي اعتنقتها الدولة، وقبلت بها لنفسها وللآخرين على حد سواء، هو اعتداء وبغي ينبغي تصويبه، ناهيك عن الضوابط الأخلاقية والتشريعية لاستخدام القوة (رعاية الأسرى، منع قتل الأطفال، والشيوخ، والمدنيين، منع التخريب).

ثانياً: ارتبطت القوة في المنظور الغربي المعاصر بالسلطة السياسية للدولة، وإن نجحت السياسة الغربية في خلق منظومة من القوانين، والعلاقات التعاقدية، تقدم درجة نسبية من العدالة ما بين المجتمع والسلطة السياسية في الشؤون المحلية

على أننا يجب أن ندرك أن هذه العقلانية في المنظور الإسلامي، هي ذات العقلانية التي سعى لاحقاً من خلالها الدارسون في الغرب كذلك إلى البحث عن وسائل لتقليل العنف، وصنع السلام، مما قادها إلى نتيجة مشابهة، وهي ضرورة تضمين آليات منع العنف، ومحاربة الإرهاب، وتسوية الصراع مبدأ للجوء إلى القوة، فنظرية الحرب العادلة، هي نظرية نادى بها الكثير من المفكرين والسياسيين في الغرب (Farrell, 2013)، وهي ذات النظرية التي ساقها الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" أثناء تسلمه لجائزة نوبل للسلام لتبرير استخدام القوة عندما قال: "ستكون هناك أوقات حينما تجد الدول- منفردة أو مجتمعة- أن استخدام القوة ليس فقط ضروريا بل له ما يبرره أخلاقياً...، أعتقد أنه بالإمكان تبرير القوة على أسس إنسانية كما كان الحال في البلقان، أو في أماكن أخرى" (Obama, 2009).

وبناءً على ما جاء سابقاً فإنه مع الاختلاف في الأيديولوجية العقائدية، أو الغايات التي يقوم عليها موضوع التسوية لدى الطرفين، فإن استخدام القوة في بعض الحالات مثل الحفاظ على السلم أو إنفاذه، تبرز كفعل متفق على أهميته لدى كثير من أتباع المنظورين، وتبقى القوة في كلا المنظورين ضرورة من ضروريات النظم السياسية المحلية، والدولية، وهي وسيلة من الأهمية بمكان، تملك القدرة اللازمة لوقف، أو منع الصراع إذا ما تم استخدامها بمشروعية، وبحكمة، و"الحكمة" هنا تعني استخدام القوة بالقدر والشكل المناسبين، وفي التوقيت المناسب، ولا يعتبر هذا التشابه غريباً، كون العقلانية في الطرح غالباً ما ستحمل معها في النهاية نتائج متقاربة، رغم الاختلاف أحياناً في الدوافع، والغايات، أو في الإطار الأخلاقي لفلسفة كلا المنظورين، أو حتى بين المنظرين في كل منهما حول بعض الجزئيات التي تدور من حولها النظرية.

على أننا يجب أن لا نعمم ما سبق قوله بخصوص التشابه النظري على الممارسة والتطبيق، فالنظرية تمثل الإطار الفكري الذي قد يتضمن مجموعة من المفاهيم، والفرضيات، والقوانين المرتبطة منطقياً في سياق هذا الإطار (مقلد، 1982)، بينما التطبيق يتمثل بمجموعة الأفعال المادية التي ستأثر دوماً بمدى فهم النظرية، ومدى الالتزام بها، وكذلك بمدى صدق النوايا لدى الممارسين (Practitioners)، فلا يعاب يوماً على النظرية إن هي أصابت عين الحقيقة في حين أساء الفاعلين التطبيق، ومن هنا فإن بعض الفروق، والاختلافات، قد تظهر متأثرة بمدى مصداقية عملية التطبيق، أو دقتها.

القوة وأثرها على العلاقات بين الدول والجماعات، فإن القوة تظل حقيقة واقعة في السياسات الدولية في النظرية والممارسة، ومع تطور حقل العلاقات الدولية، ظلت القوة على اختلاف مسمياتها وأشكالها المحور الجوهري في نظرية العلاقات الدولية حتى وقتنا الحاضر.

- ليس من المفيد التنكر لأثر القوة كأداة تقدم الحلول، لذا، فإنه من الواجب على الممارسين والدارسين الاعتراف بأهمية القوة أداة يمكن التلويح بها في حال تعثرت الجهود الدبلوماسية والوقائية الهادفة لإنفاذ السلام أو الحفاظ عليه، على أن يترافق ذلك مع بذل مجهودات أكبر في البحث والدراسة لتحديد الضوابط الكفيلة بترويض هذه القوة، وإخراجها كأداة أكثر إنسانية وأخلاقية، مما سيجعلها ذات فعالية أكبر.

- لقد شهد مفهوم القوة في حقل العلاقات الدولية تطوراً كبيراً في النظرية والممارسة، ويجب على الدارسين والممارسين في حقل العلاقات الدولية الاستفادة منه، فالقوة الناعمة والقوة الذكية التي قدمهما "جوزيف ناي" في توصيفه لأنواع القوة، مفهومان مهمان يجب تطويرهما والاستفادة منهما، كما أننا نجد أن المنظور الإسلامي يقدم طرحه، والذي ينطلق من مبدأ "المثالية الواقعية"، أو "الواقعية المثالية"، الداعية إلى ضرورة اتباع مجموعة من المبادئ، والتشريعات، والممارسات الإنسانية، التي ستضفي المزيد من الفاعلية على القوة بجميع أوجهها، وتجعلها أكثر قبولاً ومشروعية، ويقف على رأس هذه المبادئ مبدأ العدل، والمساواة، والتعاون، والتضامن، والوفاء بالعهد والعقود المبرمة، وغيرها من المبادئ الأخلاقية التي ستزيد من فعالية القوة بوجهها الناعم، إلى جانب قواعد تحكم عمل القوة، مثل قاعدة "أخف الضررين"، و"تغليب المصالح العامة على المصالح الخاصة"، و"تفضيل الضروريات على الحاجيات أو التحسينيات"، وإذا ما ترافق استخدام القوة الهادف إلى التسوية بهذه المبادئ والضوابط بعيداً عن المصالح وحسابات المنافع، فإن التسوية ستكون أقرب للحلول بين الأطراف.

- بعد الانتهاء من مسح العديد من الدراسات الغربية، ودراسات المنظور الإسلامي، فقد وجدت هذه الدراسة أن

للدول، إلا أن المجتمع الدولي ظل أسيراً لعلاقات القوة، دون أن تستطيع العلاقات التعاقدية، أو القوانين الدولية، أن تمنع الاعتداء بين مكونات المجتمع الدولي من دول، ومؤسسات دولية، وغيرها، واقتصر دور المجتمع الدولي/ السلطة الدولية (التي تخضع لرغبات القوى العظمى)، على التدخل لمنع الاعتداء كلما كان ذلك ضرورياً لحماية منافع هذه الدول، فلا نستطيع أن نتخيل ممارسة لعملية لتسوية الصراع تحمل معها حفاظاً على الأرواح والممتلكات دون تصريح من المجتمع الدولي/ السلطة الدولية، وفق المكان، والزمان المناسبين، وبما يتواءم ومصصلحة الدولة أو الدول الأقوى، بينما نرى أن النظام السياسي في المنظور الإسلامي قد حمل معه كلمة المرور الضرورية لتجاوز هذه المعضلة، وتتجلى هذه الكلمة السحرية بالعدالة (عدم التفريق في المعاملة بين الدول، وعدم الازدواجية في المعايير)، إذ تلزم النظرية السياسية في الإسلام تقديم ما فيه خير البشرية من تحقيق للمصالح، ودرء للمفاسد، ضمن مبدأ العدالة، وكل شيء لم يخرج عن هذه المحددات يدخل في فن السياسة المشروعة في المنظور الإسلامي، ما لم يخالف الشرع.

رابعاً: لا بد من التأكيد على ما اتفق عليه المنظوران الغربي المعاصر والإسلامي من ضوابط لاستخدام القوة لإنفاذ الأمن والسلام، وهي كالآتي:

- 1- أن يكون خيار التدخل باستخدام القوة مطروحاً فقط بعد استنفاد جميع الوسائل السلمية الأخرى للتدخل، وبأقل قدر ممكن لوقف الاعتداء من قبل طرف على الآخر.
- 2- أن يحمل التدخل باستخدام القوة مصلحة أكبر، وخسارة أقل بشكل عام من أي نوع آخر من أنواع التدخل لتسوية الصراع.
- 3- أن تكون العدالة حاضرة قبل، وأثناء، وبعد التدخل بالقوة.
- 4- ضرورة أن يتبع استخدام القوة مجموعة من الممارسات السلمية اللاعنفية التي ترسخ الأمن والسلام، وتعالج أي آثار ترتبت على استخدام القوة.

#### الخاتمة والنتائج

من خلال استعراض ما سبق في هذه الدراسة، ومقابلة ما جاء في المنظورين الغربي المعاصر، والإسلامي، حول "مفهوم القوة في العلاقات الدولية" فإننا نخلص إلى ما يلي:

- إن القوة مفهوم قديم مصاحب للعلاقات الإنسانية على جميع المستويات، ومهما حاول البعض التقليل من شأن

حديث رقم 2664)، (كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم 1850)، (كتاب الإيمان، باب بيان أن النبي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم 49)، (تحقيق) عبد الباقي، محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

#### ثانياً- المراجع العربية

إبراهيم، دسوقي والغنام، عبد العزيز، تاريخ الفكر السياسي، ط1، 1973، دار النجاح، بيروت.

أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، 1995، دار الفكر العربي، القاهرة.

أبو شبانة، ياسر، النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، 1998، دار السلام للنشر، القاهرة.

بوقنطار، الحسان، والمعلمي عبد الوهاب (1988)، العلاقات الدولية، 1988، دار توبقال، الدار البيضاء.

جرار، بسام، دراسات في الفكر الإسلامي، ط2، 2006، نون للدراسات والأبحاث القرآنية، البيرة، فلسطين.

حداد، ريمون، العلاقات الدولية، 2000، دار الحقيقة، بيروت.

حسين، السيد عدنان، العلاقات الدولية في الإسلام، 2006، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الخنزدار، سامي، (2010)، في المنظور الحضاري: المنظمات الدولية رؤية تفصيلية، في: سلسلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 147، 1433هـ، الدوحة.

دال، روبرت، التحليل السياسي الحديث، (ترجمة) أبو زيد، علا و هلال، علي الدين، 1993، مؤسسة الأهرام، القاهرة.

الدري، فتحي، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط2، 2013، مؤسسة الرسالة، بيروت.

دويتش، كارل، تحليل العلاقات الدولية، (ترجمة) درويش، نافع، 1982، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة.

الصلابي، علي محمود، فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، 2002، مكتبة التابعين، القاهرة.

الظاهر، أحمد، دراسات في الفلسفة السياسية، 1987، دار الكندي، عمان.

عاصي، رائد عبد الرحيم، القوة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، 2009، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

إسهامات المنظور الإسلامي في مجال دراسات القوة والسلام لا زالت دون المأمول، وفي حين انصب معظم الدارسين من الغرب على البحث في تسوية الصراع من منظور غربي دون الاهتمام بالثقافات الأخرى، فإن الدارسين العرب والمسلمين -على قلتهم- انقسموا في دراستهم لتسوية الصراع إلى نوعين: نوع أهمل المنظور الإسلامي، وذهب إلى التعمق في دراسة المنظور الغربي دون الاجتهاد فيما لدينا من موروث فكري وسياسي يمكن الاستفادة منه، والنوع الثاني درس المنظور الغربي، وبحث كذلك في المنظور الإسلامي بغية المساهمة وتقديم الإضافة، إلا أن موضوع القوة من منظور الإسلامي لا زال يعاني الندرة في أعمال هؤلاء الدارسين، وقد يكون ذلك راجعاً إلى الرغبة في تغيير الصورة النمطية العنيفة التي تشكلت لدى الغرب عن الإسلام، وذلك عبر تكريس دراسة المبادئ، والممارسات السلمية واللاعنفية في تسوية الصراع، دون الخوض في ملابسات الحديث عن القوة، ومبررات استخدامها في دراسات السلام.

#### قائمة المصادر والمراجع

##### أولاً- المصادر العربية

القرآن الكريم.

ابن تيمية، تقي الدين، الفتاوى الكبرى، (تحقيق) عطا، محمد وعطا، مصطفى، ط1، 1987، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن هشام، محمد عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، ط2، 2009، دار ابن حزم، بيروت. الهمشري، محمد وأبو

الفتوح، السيد وموسى، علي، انتشار الإسلام في آسيا، 1412هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، ط5، 1421هـ، (حديث رقم 2963)، مكتبة المعارف، الرياض.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر/ صحيح البخاري، ط3، 1987، (كتاب

الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم 5763)، (كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه، حديث رقم

6552)، (كتاب الشركة، باب هل يفرع في القسمة، حديث رقم 2361)، (تحقيق) البغا، مصطفى ديب، دار

ابن كثير، بيروت.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط2، 1972، (كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة،

- Abu Shabana, Yasser, The New International Order between the Current Impact and the Islamic Perception, 1998, Dar Al Salam Publishing, Cairo.
- Boukuntar, Al-Hassan, and Al-Maalami Abdel-Wahab (1988), International Relations, 1988, Dar Toubkal, Casablanca.
- Jarrar, Bassam, Studies in Islamic Thought, 2nd Edition, 2006, Noun for Quranic Studies and Research, Al-Bireh, Palestine.
- Haddad, Raymond, International Relations, 2000, Dar Al Haqiqa, Beirut.
- Hussein, Mr. Adnan, International Relations in Islam, 2006, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.
- Al-Khaznadar, Sami, (2010), In the Civilizational Perspective: International Organizations, a Detailed View, in: The Ummah Book Series, Department of Islamic Research and Studies, No. 147, 1433 AH, Doha.
- Dahl, Robert, Modern Political Analysis, (translation) Abu Zeid, Ola and Hilal, Ali El-Din, 1993, Al-Ahram Foundation, Cairo.
- Al-Derini, Fathi, Characteristics of Islamic Legislation in Politics and Governance, 2nd Edition, 2013, Al-Resala Foundation, Beirut.
- Deutsch, Carl, International Relations Analysis, (translation) Darwish, Nafie, 1982, The Anglo-Egyptian Library, Cairo.
- Al-Sallabi, Ali Mahmoud, Chapter of Al-Khattab in the Biography of Ibn Al-Khattab, 2002, Al-Tabi'in Library, Cairo.
- Al-Zahir, Ahmed, Studies in Political Philosophy, 1987, Dar Al-Kindi, Amman.
- Assi, Raed Abdel Rahim, Strength in the Noble Qur'an, Master Thesis, 2009, An-Najah National University, Nablus, Palestine.
- Abdel Shafi, Essam, Realism and Idealism in the Analysis of International Relations, Arab Research Center, 2011: [www.arabiccenter.net/ar/news](http://www.arabiccenter.net/ar/news)
- Al-Aqabi, Ali Odeh, International Political Relations, 1996, Jamahiriya House, Tripoli, Libya.
- عبد الشافي، عصام، الواقعية والمثالية في تحليل العلاقات الدولية، المركز العربي للأبحاث، 2011: <http://www.arabiccenter.net/ar/news>
- العقابي، علي عودة، العلاقات السياسية الدولية، 1996، الدار الجماهيرية، طرابلس، ليبيا.
- عمر، عبد العزيز، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، 2000، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، 2000، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- فرج، أنور محمد، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، 2007، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية.
- قطب، محمد، مناهج التربية في الإسلام، ط14، 1993، دار الشروق، القاهرة.
- مصطفى، نادية، المنظور الحضاري والعلوم الاجتماعية والإنسانية، في: سلسلة قراءة في الفكر الحضاري لأعلام الأمة، مصطفى، نادية و عبدالفتاح، سيف الدين و ابراهيم، ماجدة (محررون)، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2011.
- مقبل، ربهام، "مركب القوة: عناصر وأشكال القوة في العلاقات الدولية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 188 (2012).
- مقلد، إسماعيل صبري، نظريات السياسة الدولية: دراسة تحليلية مقارنة، 1982، جامعة الكويت، الكويت.
- مورجانتو، هانز، السياسة بين الأمم: الصراع من أجل القوة والسلام، (ترجمة) حماد، خيرى، 1964، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- ميلود، رحمانى، مدخل إلى الفكر الإسلامي، الألوكة الثقافية، 2010، [www.alukah.net/](http://www.alukah.net/)
- ناي، جوزيف، حتمية القيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية، (ترجمة) عبد القادر، عثمان، 1991، مركز الكتب الأردني، عمان.
- المراجع العربية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية
- Ibrahim, Desouki and Al-Ghanam, Abdel Aziz, History of Political Thought, 1, 1973, Dar Al-Najah, Beirut.
- Abu Zahra, Muhammad, International Relations in Islam, 1995, Arab Thought House, Cairo.

- Omar, Abdel Aziz, Modern and Contemporary History of Europe, 2000, University Knowledge House, Alexandria.
- Ghaith, Mohamed Atef, Dictionary of Sociology, 2000, University Knowledge House, Alexandria.
- Faraj, Anwar Muhammad, The Theory of Realism in International Relations, 2007, Kurdistan Center for Strategic Studies, Sulaymaniyah.
- Qutb, Muhammad, Curricula of Education in Islam, 14th edition, 1993, Dar Al-Shorouk, Cairo.
- Mustafa, Nadia, Civilizational Perspective and Social and Human Sciences, in: A Series of Reading in the Civilized Thought of the Nation's Flags, Mustafa, Nadia and Abdel-Fattah, Seif El-Din and Ibrahim, Magda (Editors), Civilization Center for Political Studies, 2011.
- Mokbel, Reham, "The Compound of Power: Elements and Forms of Power in International Relations", International Politics Journal, No. 188 (2012).
- Makled, Ismail Sabry, Theories of International Politics: A Comparative Analytical Study, 1982, Kuwait University, Kuwait.
- Morgenthau, Hans, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace, (translation) Hammad, Khairy, 1964, National House of Printing and Publishing, Cairo.
- Miloud, Rahmani, Introduction to Islamic Thought, Alukah Cultural, 2010, [www.alukah.net/](http://www.alukah.net/)
- Nye, Joseph, The Imperative of Leadership: The Changing Nature of American Power, (Translation) Abdul Qader, Othman, 1991, Jordan Book Center, Amman.
- ثالثاً- المراجع الأجنبية
- Bessiouni, M.C. International criminal law: sources, subjects and contents, 3rd ed, 2008, Martinus Nijhof Publishers, Netherlands.
- Elman, C. "Realism", In: International relations theory for the twenty-first century, Griffithis, M. 2007, Routledge, New York.
- Farrell, M. Modern just war theory: a guide to research, 2013, Scarecrow Press, Maryland, USA.
- Fukuyama, F. "The end of history", The National Interest, Issue 16, 3-18, (1989).
- Halliday, F. Rethinking of international relations, 1994, UBC Press, Vancouver, Canada.
- Mannheim, K. Ideology and utopia, 2013, Routledge, New Yourk.
- Merriam-webster online dictionary, An Encyclopedia Britannica Company, available at: [www.merriam-webster.com/dictionary/power](http://www.merriam-webster.com/dictionary/power).
- Nye, J. S. The future of power, 2011, Public Affairs, New York.
- Walt, M. S. "International relations: one world, many theories", Foreign Policy, Issue 110, 29-35 (1998).

